

الزُّرَّاءُ الفُكْرِيُّ فِي خَبَارِ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا

لِلْعَلَّامِ سَمَاعِلَ بْنِ عَلِيٍّ تَدَارِعِ

حظيت اليمن على مدى عصورها الاسلامية بوفرة انتاجها العلمي ،
وتدفَّق عطاياها الفكري ، فلم يُؤثَر على الاطلاق ان تغلَّف علماء اليمن
المبرزون ، او جمدوا على رأي مَنْ قبلهم ، او وقفوا عند فكرة معينة ،
بل كانوا يندفعون مُجددين ومُبدعين في شتى ميادين الفكر — ولا سيما
علوم الاجتهاد — (١) ولم يفتهم نمن من فنون الثقافة الاسلامية — ولا
علم من علوم حضارتها إلا ركبوا مِنتَه ، وخاضوا عُبابه واتسوا بالعجب
المجانب فاثَّروا بثمار عقولهم المكتسبة العربية الاسلامية وادَّوها بذخائر
الفكر ، وخلفوا ثروة طائلة من الأبحاث والمصنفات العديدة . ولم
ينقطع نشاطهم الفكري حتى في الفترات المسيية التي كانت اليمن
خلالها تتعرض لحسن قاسية وحروب أهلية ضارية تعصف بآلامها
واستقرارها ، وتمزق اوصالها ، وتأتي على الأخضر واليابس .

وقد تعددت مناحي تلك الأبحاث والمصنفات في الأدب واللغة
وعلوم العربية والتشريع والعلوم الفلسفية والتاريخية والاجتماعية
والترجمة والفلك والطب بنوعيه والزراعة وغير ذلك ، وتنوع بعضها
بتنوع السوان الحكم في اليمن ، واتَّسم بعضها بطابع المذاهب والمقائد ،

(١) من اسس المذهب الزيدي فتح باب الاجتهاد والدعوة اليه لمن ملك وسائله من
علوم العربية ، وكان من ابرز علماء اليمن المجتهدين الذين لم يقتضوا بأي مذهب
من المذاهب الاسلامية المشهورة ، نشوان بن سعيد الصيري المتوفى سنة ٥٧٢ هـ ،
ومحمد بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ هـ ، والحسن بن أحمد البلال المتوفى
سنة ١٠٨٤ هـ ، وصالح بن مهدي المتبلي المتوفى ببكة سنة ١١٠٨ هـ ، ومحمد بن
اسماعيل الامير المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ، ومحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة
١٢٥٠ هـ .

فكان لكل مذهب مؤلفاته ، ولكل عقيدة مصنفاتها ؛ فكان هناك كتب أهل السنة ، وكتب الزيدية بفروعها (٢) وكتب الشافعية ، وكتب الحنفية ، كما كان هناك أيضا كتب الاسماعيلية (الباطنية) .

ثم ظهر الاعتزال في اليمن في المائة السادسة حينما قدم اليها زيد بن الحسن بن علي البيهقي البروقاني سنة (٤٥٠) (٢) بتكليف من الشريف علي بن عيسى بن حمزة السليماني (٤) رئيس العلماء بمكة في عصره . وكان زيدي المذهب — لما بلغه من انتشار المظرفية في اليمن فعهد الى البيهقي بالمسير الى اليمن ليصداً أهل اليمن عن اعتناق هذا المذهب الذي كان قد انتشر في اليمن الأعلى ، فقدم كما ورد في ترجمته — ومعه كتب غربية وعلوم عجيبة ، فنزل بصعدة فأتاه بها سنتين ونصف السنة يدرس وينشر الاعتزال ، ثم ذهب الى هجرة مَحَنَكَة (٥) حيث كان يوجد بها الامام احمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ فآخذ عنه الامام وشاركه في ذلك القاضي جعفر بن احمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٢ . ثم رحل القاضي جعفر الى العراق فوجد مذهب المعتزلة منتشراً هناك ، ووجد من بقي فيه من الزيدية قد تحولوا الى الاعتزال فآخذ عنهم ، ثم عاد الى اليمن ومعه كتب كثيرة .

(٢) الهاديية والمظرفية والحسينية .

(٣) نسبة الى بروقن : قرية من نواحي بلخ من خراسان . وكان عالماً من علماء زيدية الجيل والديلم .

(٤) وهو الذي احدى اليه جبار الله الزمخشري تفسير الكشاف المشهور في صدر مقدمة الكتاب .

(٥) مَحَنَكَة : بلدة صغيرة في بلاد خولان بن عمرو بالقرب من حيدان ، وكانت احدى هجر العالم المنتشرة في اليمن . ولنا كتاب عن الهجر في اربع مجلدات سيصدر قريباً ان شاء الله .

وكان اهتمام الامام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ بالاعتزال لا حدود له ، فقد بذل جهوداً كبيرة في الحصول على كتب المعتزلة وبعث علماء الى خارج اليمن ليقتنوا له كتبها شراء واستنساخاً فجمعت مكتبته (١) منها ومن غيرها عدداً كثيراً حتى سارت من اغنى المكتبات في اليمن .

وقد انتشر الاعتزال عند علماء الزيدية فكانوا هادوية في الفروع ، معتزلة في الأصول ، إلا في مسألة الإمامة فقد خالفوا المعتزلة (٢) ، كما ان المجتهدين من علماء الزيدية الذين تضرروا من المذهب وعملوا بالكتاب وصحيح السنة قد وقفوا من الاعتزال موقفاً معارضاً ، وكان على رأس هؤلاء العلامة المجتهد محمد بن ابراهيم الوزير ومن قبله العلامة حميدان القاسبي من اعلام المائة السابعة الذي وقف موقفاً معارضاً للاعتزال ، وله مؤلفات في ذلك .

كان في اليمن عدد كثير من خزائن الكتب ، وكان احفظها بفخائر الكتب ونفائسها خزائن الملووك والائمة والامراء ، كما انهم من اعلام كبير في جمع الكتب واتقنائها والاستئثار منها كما هي عاداتهم في كل زمان ومكان ؛ وكان اشهر تلك الخزائن خزانة السلطان الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفى سنة ٧٢١ اذا كانت تحتوي على مائة الف مجلد - كما يقول الياقعي في معراج الجنان، والدميري في حياة الحيوان - فقد كان يهوى جمع الكتب

(١) الإمامة عند الزيدية محصورة في اولاد الحسنين وعند المعتزلة في الامام والائمة من المسلمين .

(٢) كانت مكتبته في هجرة ظفار ذيبين : مقر سلطان ودار ملكه . وبعد تفرق كثير منها بمرور الايام وبقي منها بقية سالحة نقلها الامام المنوكل يسر بن سعيد حميد الذي المتوفى سنة ١٢٦٧ الى جامع صنعاء كما سيأتي بيانه ذلك قريباً .

والتحف فكانت تحمل اليه من كل جهة ، وكان عنده مع ذلك أكثر من عشرة نساخين ينسخون الكتب وترفع الى خزيفته بعد مقابلتها . ولما أهدى اليه كتاب الاغانى بخط ياقوت الحموي اجاز المهدى مائتي دينار مصرية ، وقيل مائة الف كما ذكر ذلك أبو الفدى في تاريخه .

ومن المكتبات الشهيرة مكتبة الامام المنصور القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩ ومكتبات اولاده واحفاده لأنهم كانوا علماء مبرزين فاجتمع لهم بحكم علمهم وإمارتهم من نفائس المخطوطات ونواذرهما ما لم يجتمع لغيرهم .

وكانت مكتبة عمر بن علي بن محمد بن أبي بكر العلوي المتوفى سنة ٧٠٣ من المكتبات الشهيرة في زبيد ، فقد كان فيها كما يقال خمسمائة ديوان (٨) من الشعر كما ورد في ترجمته . وورد في ترجمة الأمير عبد الله بن العباس الحجاجي المتوفى سنة بضع وسبعين وستمائة بأنه جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه حتى قيل : ان خزائنه في مدينة الجند جمعت أكثر من خمسة آلاف كتاب . وورد في ترجمة جمال الدين الريمي المتوفى سنة ٧٩١ بأن مكتبته كانت تضم ألفي كتاب .

وهناك كتب كثيرة موقوفة على الجوامع والمساجد فتوجد مكتبة في جامع صنعاء ، ومكتبة في جامع زبيد ومكتبة في مسجد الأشاعر بزبيد أيضا ، ومكتبة في جامع المظفر بتعز ، ومكتبة في جامع الامام الهادي بصعدة ، ومكتبة في المدرسة الشمسية بدمار ، ومكتبة في جامع ذي جبلة ، ومكتبة في جامع ابّ ، ومكتبة في جامع شهارة ، ومكتبة في جامع هجرة ظفير حجة ، ومكتبة في جامع ضوران ، ومكتبة في جامع الروضة ،

(٨) المعتود التأويية ١ / ٢٥٦ وانظر ترجمته في كتابي (المدارس الاسلامية في اليمن) .

ومكتبة في قبة طلحة بصنعاء ، ومكتبة في قبة المهدي السبلي بصنعاء .
 وجميع هذه المكتبات هي من أوصاف العلماء والفضلاء والأئمة والمساكين
 والأمرء ، ولكنها قد تناقصت وفُقد أكثرها ، ولم يبق في بعض هذه
 المكتبات إلا النزر اليسير ، وفي بعضها لم يعد لها أثر . ويعود الدبيب
 الى ان المستعيرين للكتب من هذه المكتبات كان أكثرهم لا
 يرجع ما استعاره - كما حدث في مكتبة المدرسة
 الشمسية في زمار ، فقد سمعت من والدي رحمه الله ان كثيراً من
 شيوخ العلم بها وذكر أسماء بعضهم كانوا يستعرون الكتب وتبقى
 لديهم بعذر أنهم محتاجون اليها لتدريس طلابهم فلا يرجع من تلك
 الكتب إلا ما ندر .

ومن اسباب فقدانها الإهمال والضياع وسرقة ما أمكن ، وتهاون
 حفاظ بعض تلك المكتبات في الحرص عليها فكانوا اذا عوزتهم الحاجة
 باعوا منها ما أمكن . وقد وجدتُ بعضاً من هذه الكتب معروضة للبيع
 وهي في الأصل من وقف بعض المساجد واخذتها واحتفظت بها في
 المكتبة القريبة بجامع صنعاء .

وقد تعرضت مكتبة جامع الامام الهادي بصعدة لنهب معظم
 محتوياتها حينما كانت تحترق القوات الملكية والقوات الجمهورية
 للاستيلاء على صعدة وحدث الشيء نفسه لمكتبة ظفير حجة ولا اعرف
 بالتحديد ما كان يوجد في تلك المكتبات كلها إلا أنه يوجد فيما بقي من
 مكتبة جامع الهادي بصعدة بعض اجزاء من التبيان في احكام القرآن (٩)
 لفشوان بن سعيد الحميري وهو من الكتب النادرة (١٠) ، ويوجد كذلك

(٩) نهج في تفسيره طريقة خاصة فهو يأتي بالاية ثم يرد فيها بالفراغات ثم اللغات ثم
 اسباب النزول ثم النظم وهو ارتباط الآية بما قبلها ثم المضى فالأحكام .

(١٠) يوجد بعض اجزاء منه في مكتبة الابرورياتا في ميلانو بإيطاليا .

ضياء الحاروم لحمد بن نشوان الحميري مختصر من شمس العلوم في اللغة ويوجد فيها أيضا نظام الغريب . ويوجد فيما تبقى من مكتبة جامع تعز ، وهي من أوقاف ملوك بني رسول ، شرح المفصل للزمخشري منسوخ في المائة السابعة في عصر المؤلف، والاكمال لابن ماكولا المتوفى سنة ٤٨٦ (الجزء الرابع) ، وديوان الأدب لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ (الجزء الاول) بخط نفيس، وبعض أجزاء من البيان في منه الثلاثة ليعلى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨ وأجزاء من التفتيح شرح التنبيه (لابي اسحق الشيرازي) تأليف جمال الدين الرئيسي .

ويوجد في جامع الروضة نحو أربعمئة مجادة منها نسخة أثرية من شمس العلوم لنشوان الحميري ، ويوجد في قبة طلحة بضماء مجموعة من الكتب النادرة تبلغ خمسمئة مجادة ، وهي من وقف بانيها الامام المهدي عبد الله بن المتوكل احمد المتوفى سنة ١٢٥١ ، وهي مما اقتناها وورثها عن والده الذي يقال إنه كان في خزانته آلاف الكتب . وفي هذه المكتبة مجموعة من المصاحف الاثرية المذهبة بعضها بخط ياقوت الرئيسي .

عسى ان اثرى هذه المكتبات هي مكتبة الأوقاف بجامع ضياء وهي مجموعة من وقف الحاج سعيد بن علي البواب الحاشدي ، ووقف القاضي محمد بن قيس ووقف الامام المهدي احمد بن الحسن بن الامام القاسم ، ومن وقف النقيب الماس وبها كتب كثيرة من مكتبة آل الوزير ، فقد ذكر العلامة يحيى بن الحسين بن الامام القاسم في كتابه (طبقات الزيدية) في ترجمة صلاح بن احمد بن عبد الله الوزير ما لفظه : ولهم خزانة كتب جمعوها ما زال اللاحق يجمع الى ما جمعه الأول حتى اجتمعت كتب كثيرة ، ثم ما زالت الى زماننا هذا ، وذكر لي بعض

اولادهم أن الباقي منها مائة مجلد من اعيانها : الديباج للقاضي عبد الله الدواري ، والمحجة البيضاء لعبد الله بن زيد ، وجامع ال محمد مت مجلدات ، وجامع المسانيد لابن الجوزي في الحديث ، والمناهج البطلي في مذهب زيد بن علي ثلاثة مجلدات ، وهي نسخة سُئِلَتْ على المصنف ، وكتب ضياء العلوم في اللغة مجلدات ، وكتاب تهذيب الخادم ثمانية مجلدات ، والأطراف للمزي في الحديث ، والمواسم والقوامس في الفقه عن سنة ابي القاسم للسيد محمد بن ابراهيم الوزير في اربعة مجلدات ، وتفسير الهادي ، وشرح المنتهى الكبير ، وجزء كبير من تاريخ الططيب في الحديث والتراجم ، وتاريخ مسلم اللخمي وسيرة علي بن صلاح في جزاين ، وجزء من سيرة والسدة صلاح الدين وغير ذلك من الكتب ثم قال :

وفي هذا الوقت طلب آل الوزير قسمتها بينهم وتصرفوا فيها وتفرقت بعد أن كانت مجمعة وذكر لسي بعض اولادهم أنها كانت في بيان بخط آبائهم فصدر تسعمائة كتاب ورايت البيان كذلك ، فلم يبق منها الا القدر المذكور . نعم ، وبعد قسمتها وتفرقتها كما ذكر ، امر الامام المتوكل على الله اسماعيل - رضوان الله عليه - بجمعها كما كانت مجموعة فجمع منها بعضها مما امكن جمعها ، وجعلت في خزانة في اربى مؤخر جامع صنعاء وهي فيه الآن ، ولم يبق للاسادة (بيت الوزير) فيها تصرف (١١) .

وقد امر الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين ببناء خزانة في الجامع الكبير لهذه الكتب الموقوفة وتم بناؤه سنة ١٢٤٤ وجمع اليها الكتب الموقوفة ثم اضاف اليها ما بقي من خزانة الامام عبد الله ابن حمزة في هجرة ظفار ذيبين ، كما ضم اليها ما بقي من كتب الأمير محمد

(١١) معظم هذه الكتب لم يمد لها وجود .

ابن الحسن بن الامام القاسم الموقوفة على ذريته بعد ان قلَّ المنتفع منهم بها وغير ذلك من الكتب الموقوفة ، ثم نقل اليها المصحف الكوفي المكتوب على الرق من مسجد الشَّهيدَيْن بصنعاء بعد ان ذهب من آخره عدة اجزاء وهو من أقدم المصاحف في العالم ، ويظهر ان احد سدنة مسجد الشَّهيدَيْن قد نزع بعض أوراقه وباعها لهواة المخطوطات مع ان هذا المصحف كان كاملاً الى ما قبل نحو ثمانين سنة ، فقد ذكر القاضي العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الحجري — رحمه الله — في مقدمة فهرسته اهذه الكُتُب ما يلي : « وقد اخبر جماعة من علماء العصر ممن كان شاهد هذا المصحف وقرأه أنه كان كاملاً وأنهم شاهدوا نسي خاتمه ما لفظه (وكتبه علي بن أبو طالب) ومن اخبر بهذا القاضي العلامة محمد بن عبد الله الجنداري أنه شاهد هذا سنة ١٢١٢ . واخبر السيد العلامة علي بن حسين الشامي عن شيخه صني أحمد بن عبد الله الجنداري بمثل ما تقدم ، وروى القاضي العلامة الصفي أحمد بن أحمد الجرائمي عن شيخه العلامة علي بن حسين المغربي بنحو هذا وزاد أنه كان يجنب اسم امير المؤمنين علي رضي الله عنه ما لفظه : « وزيد بن ثابت » . واوقف عليها الامام يحيى مجموعة ثمينة ونقيسة من المخطوطات (١٢) كما اوقفنا عليها مكتبة ابنه الأمير سيف الاسلام محمد البدر الذي مات غرقاً في البحر في آخر سنة ١٢٥٠ .

(١٢) ولعله ما من الكتب التي استخرجها من شهارة . فقد ذكر القاضي أحمد بن عبد الله الجنداري في كتابه الجامع الوجيز في ترجمة لطف الله بن محمد بن الفياث التومني بظاهر حجة سنة ١٠٣٥ ما لفظه ان كتب السيد محمد الولي التي نقلت من الطائف الى جدة وجعل امر ولايتها الى الشيخ لطف الله بن الفياث وعددها اربع عشرة مجلدة ثم عهد بها الى تلميذه الامير الحسين بن الامام القاسم بن محمد ونقلت الى شهارة ثم قال الجنداري وقد ذهب اكثرها وبقي بقية في شهارة استخرجها سيف الاسلام يحيى (الامام يحيى) بن المنصور .

ويقدر عددها في هذه الخزانة بنحو خمسة آلاف كتاب مخطوطة (١٢) ويوجد فيها من نواذر المخطوطات ما لا يوجد في غيرها فسيها مثلا ديوان ذي الرمة مكتوب بالخط الكوفي من المائة الثالثة وكذلك الكتاب لسيويه الجزء الرابع والثامن من القرن الثالث . ويوجد بها كتاب المغني في اصول الدين للقاضي عبد الجبار بن احمد شيخ المعتزلية المتوفى سنة ٤١٥ . وهو مما نقل من مكتبة الامام عبد الله بن حمزة . والموجود منه المجلد الاول والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والسادس عشر والعشرون . ويلي الجزء الاخير (الجواب التام المغني لشبسه المغني) للعلامة محمد بن احمد بن علي بن الوليد من اعلام المائة السادسة وقد ناقض فيه القاضي عبد الجبار فيها خالف فيه الزيدية في مسألة الامامة وقد كتب برسم مكتبة الامام عبد الله بن حمزة . وقد صورته بعثة جامعة فؤاد (جامعة القاهرة) فيها صورته سنة ١٩٥٢ ونشر الموجود منه في مصر تحت اشراف الدكتور طه حسين .

ويوجد بها القاموس المحيط بخط جميل جدا ، وهو محبوب بالذهب ، ويوجد بها الاسعاف شرح شواهد الكشاف للشيخ خضر بن عدلا الله الموصللي اكمل تأليفه سنة ١٠٠٣ وهو تاريخ نسخ الكتاب وتقع في مجلدين بخط جميل مزخرف بالذهب .

وفي هذه المكتبة عدد كثير من الكتب بخط مؤلفيها مثل الاماز في علوم الاعجاز وكذلك الانتصار وكلاهما للامام يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ والفتح القدير الجامع بين مني الرواية والدراية في علوم التفسير ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار وتحفة الذاكرين شرح نسخة

(١٢) - سبدا بفرستها في مطلع العام ١٤٠٢ - (١٩٨٢) ان شاء الله .

الحسن الحسين ، ووبل الغمام على شفاء الاوام ، والسيل الجرار المتدفق
على حذائق الازهار وجميعها لشيخ الاعلام محمد بن علي الشوكاني ،
وبها بعض اجزاء من فتح الباري بخط مؤلفه الحافظ بن حجر ، وتراجم
آل الوزير بخط مؤلفه الهادي بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ ، كما
يوجد بها رسائل بخط البدر محمد بن اسماعيل الامير والحسن بن احمد الحلال
ويحيى بن الحسن بن الامام القاسم بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ او غيرهم .

ويوجد في الجامع الكبير مصاحف نادرة مذهب في غاية من جمال
الخط واتقانه كما وجدنا في الخزائن العلوية في سطح الجامع مجموعات
كثيرة من المصاحف المبعثرة النادرة المكتوبة بالخط الكوفي على الرق
وتقدر بالكثير من خمسة عشر كيساً عدا ما فقد منها نتيجة الإهمال والضياع .

وتوجد بجامع صنعاء مكتبة أخرى تعرف بالمكتبة الغربية وهي
تحتوي على مكتبة الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين وقد نقلتها
من قصره (دار السعادة) الى الجامع الكبير منذ بضع سنين ثم مكتبة
الامام احمد بن الامام يحيى وقد كانت في قصره (بستان الخير) بصنعاء
ثم اخذنا اليها مكتبة في قصر (سعدان) بمدينة حجة بعد ان تم نقلها
سنة ١٢٩٧ (١٩٧٧) . ويوجد ايضا بعض المخطوطات التي كانت في
قصور الأمراء . كما تم نقل مخطوطات مكتبة المدرسة العلمية بصنعاء
التي انشاها الامام يحيى سنة ١٢٤٤ الى المكتبة الغربية . ويوجد بها
ايضا مكتبة آل الوزير (١٤) المتأخرين وقد صادرها الامام احمد من
قصورهم سنة ١٩٦٧ في أعقاب استيلائه على صنعاء واستعادته
الحكم منهم .

(١٤) الامام عبد الله بن احمد الوزير والأمير علي بن عبد الله الوزير .

كما ان بها مكتبة شيخنا العلامة ثابت بن سعد بهران وقد أوقفها على هذه المكتبة وفيها مجموعة كثيرة من المخطوطات وخطها من المطبوعات . ثم الحقنا بها ما تسمّ شراؤه من المخطوطات ويقدر بنحو ألف وخمسمائة مجلدة ورسالة . وتحتوي مكتبة الامام بمبنى على نفائس الكتب ونوادرها ، فهي غنية بالمخطوطات الفريدة التي لا تظفر لها في المكتبات الاخرى ، فمنها سير اعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ والسلوك في طبقات العلماء والمسوك للجندي المتوفى سنة ٧٢٠ والمسجد المسبوك والزبرجد المحوك لعلي بن الحسن الخوررجي المتوفى سنة ٨١٢ ، وكذلك طراز اعلام الزمن في طبقات اعيان اليمن لسنة ايضا وغير ذلك من النواذر .

وقد تمت فهرسة قسم كبير من المخطوطات بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ، وقامت الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بطبعه ونشره ويقع في السف صفحة ويشمل ١٩٧٨ مجلدة وهي تحتوي على (٤٢٣٦) موضوعا منها (٢٧٥٢) مدخل عنوان مستقل و (١٤٨٤) مدخل عنوان متكرر . وقد شمل المواضيع التالية التفسير والقراءات والحديث والسيرة وعلم الكلام والفقه واسول الفقه الفرائض — وقد استأثرت هذه للعلوم بمعظم ما في المكتبة — ثم المعارف العامة والادب والتاريخ والمنطق والعلوم الاجتماعية والعلوم الخفية واللغة والجغرافيا والبلاغة والنحو والصرف والمروءات والقوانين والرياضيات والفلك والطب والطب البيطري والزراعة .

ونعمل الآن على اكمال فهرس بقية ما لسم يفهرس من هذه المكتبة ثم مكتبة الاوقاف ان شاء الله .

توجد مكتبات خاصة كثيرة في كثير من المدن وعبر العالم فسي اليمن لا نعرف عن محتوياتها الا ما ندر بالسمع واحيانا بالمساعدة .

ففى صنعاء مثلاً اكثر من اربعين مكتبة وفى كل من الروضة
وذمار ورداع ويريم وابّ وتمز وذى جبلة ، وزبيد وبيت الفقيه والتّحينا
والمرّاوعة والمنيرة والزّيدية وحجة وصعدة وحوث وشهارة وهجر الأهنوم
مثل المدان ومعمرة والعنشق وعلمان ، وكذلك حبور والمدائر والسودة
والكبش وإريان والذاري وذيبين وخمر وثلاء وشبام وكوكبان والطويلة
ومناخة وعزّ الحيمة وغيرها من المدن والهجر عدد كبير من المكتبات
المشهورة وسأذكرها بالتفصيل فى بحث قادم ان شاء الله تعالى .

وما يوجد فى هذه المكتبات الخاصة ومكتبات الأوقاف ومكتباتى
الجامع الكبير لا يمثل الا القليل مما كان يوجد فى اليمن من تراثها
المشهور فقد مُنقت آلاف المخطوطات ، منها ما ذهب ضحية إغارة القبائل
على المدن لا سيما صنعاء وصعدة حيث كانوا يتلفون كثيراً منها حرقاً
وتمزيقاً ، وما سَلِم منها يَفْقِد أحياناً العنوان واسم المؤلف فيصبح مجهول
الاسم والنسب . وكان آخر مرة تعرضت صنعاء فيها لمثل هذا الزحف
القبائلى العام سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) حينما تولى الامام عبد الله بن احمد
الوزير الحكم فى أعقاب مقتل الامام يحيى فحرض الامام
احمد حميد الدين التوفى سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢) القبائل
على دخول صنعاء حتى يتمكنوا من اخذ الثار من قتلة والده
فتداعت القبائل بأسلحتها ومعاولها وما بها الحرم على نصر حق
وازهاق باطل أو إقامة إمام واستقاط إمام آخر بقدر ما كانت الاطماع
تحركها لنهب بيوت صنعاء والاستيلاء عليها وعلى ما بها من كنوز
وتحف وأموال فاقتحمت الأسوار ، ودخلت البيوت ونهبت ما فيها
واقطعت الأبواب والنوافذ ، ودمرت وأفسدت خلال ثلاثة أيام محضرة
مئات السنين ولم تسلم إلا قلّة من البيوت ، منها بيوت آل حميد الدين
وأمصارهم وأصهارهم وبعض بيوت استقطاع أهلها حمايتها والدفاع
عنها بالمال .

وربما كان أشد عوامل التلف والتدمير للكتب ما كان يقوم به
الحاكم من اتلاف كتب مخالفيه في العقيدة أو المذهب عما حدث للفرقة
المطرفية فقد قضى عليها الامام المنصور عبد الله بن حمزة وقضى
على تراثها مع أن المطرفية هم من الزيدية ، ولكنهم خالفوها في مسائل
فكفروهم بالإلزام فعلماء التطريف مثلاً يرون في الإمامة أنها تصلح في
الأتقى والأعلم كالمعتزلة .

وكما حدث لكثير من تراث الشافعية في زييد ونواحيها فقد
قضى عليه علي بن مهدي الرعيني سنة (٥٥٤) بعد أن ولى الحكم في
زييد ونواحيها وقتل كثيراً من علماء الشافعية لأنه كان حنفي المذهب
ثم جاء أولاده بعده فقتلوا علماء الشافعية في الجند ونواحيه .

وكذلك فإن إهمال الكتب وتركها من دون استعمال يمرضها
للتلف كما حدث ويحدث الآلاف الكتب التي اتلفتها الرطوبة والأرضية
وغيرها من سائر الآفات المسلطة على الكتب لا سيما في زييد
والمناطق الحارة الأخرى فإن التلف يسرع إليها إذا لم تُستعمل أو يُحافظ
عليها باستمرار .

وهناك كثير من تراث اليمن قد تسرب إلى أقطار أخرى مما ذهب
من أصحابه أو اشترى من ورثة أصحابها إذا كانوا جهلة أو كانوا
محتاجين . فكثيراً ما كانت تتعرض منغصاء والمدن الأخرى لخصاص
القبائل فتشتد الحاجة بالسكان وتنقطع عنهم موارد الرزق فيتدافعون
لانتقاذ أنفسهم من الموت ببيع ما تحت أيديهم من كتب وتلف ونحوها
مستشهدين بقول الشاعر :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك خوائسج من رب يهين غنمين

وكان اشد حصار عرفتة صنعاء في هذا القرن هو حصار سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) حينما حاصرتها قوات الامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ لأنه كان فيها حامية عثمانية فنال الناس في صنعاء من ذلك الحصار بلاء ومجاعة شديدة فمات فيها من مات من الجوع والامراض واستفدى القادرون حياتهم بنفائس ما كان معهم . وقد اشترى بعض موظفي الدولة العثمانية في اليمن كتباً كثيرة ومنهم المستشار حسنى باشا الذي كان مستشار الوالي العثماني حسين حلمي باشا الذي قدم الى اليمن سنة ١٣١٦ (١٨٩٨) فقد اشترى كتباً كثيرة منها كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم) بخط مؤلفه محمد بن ابراهيم الوزير باعها له محمد بن عبد الله بن الامام محمد بن عبد الله الوزير وقد نقلوها الى بلادهم فانتهى اكثرها الى المكتبات الكثيرة الشهيرة في تركيا فني مكتبة على امري باصطنبول مثلاً نحو ثلاثة آلاف مخطوط من اليمن وبعض الكتب التي كانت تنقل الى اصطنبول كانت تباع لتجار الكتب من الغرب وقد رايت عدداً من المخطوطات اليمنية في مكتبة ليذن جاءت بالشراء — كما يقول حافظ المكتبة — من اصطنبول .

وكان يوجد في اليمن تاجر ايطالي اسمه (جوزيف كابروتى) اقام بها ثلاث سنوات (١٣٢٨ — ١٣٣٢) ، (١٩١٠ — ١٩١٢) وكان له دكان بسوق الملح بصنعاء حصل على نحو (١٦١٠) مخطوط نقلها الى ايطاليا واهديت سنة (١٣٣٧) ١٩١٩ الى مكتبة الأمير وزيانا في مولانو بمناسبة مرور ثلثمائة سنة على انشائها وكان بهذه المكتبة من قبل قرابة مئتي مخطوطة جاءت من اليمن واهديت اليها سنة ١٣٣٢ (١٩١٤) . وسمعت ان التاجر احمد راوية من ذمار كان كلها ذهب الى الحديدة حمل معه اكياساً من المخطوطات لبيعها هنالك ومنها تحمل الى خارج اليمن وكان يشتري التاجر راوية الكتب من اصحابها

في زمار بالجملة . وحصل العالم الايطالي (انسلدي) خلال وجوده في
اليمن من سنة (١٩٢٩ - ١٩٣٢) على مجموعة من الكتب كما حصل
العالم المستشرق الايطالي روسي حينما كان في اليمن من سنة
(١٩٣٧ - ١٩٣٨) على (٥٥) مخطوطة وقد آلت هذه المجموعات
الى مؤسسة كيتاني التي انتقلت الى الاكاديمية الاهلية بروما .

وكان الرحالة الالماني المشهور كارستن نيبور قد تمكن من
الحصول على مجموعة نفيسة من المخطوطات حينما جاء الى اليمن
(١٧٦١ - ١٧٦٧) وهي الآن في المكتبة الملكية في كوبنهاجن العاصمة
الدنمركية وقد رايت منها بعض المخطوطات حينما كنت في الدمارك في
شهر ايلول سنة ١٩٧٩م مدعواً من الحكومة الدنمركية . وحصل إدوارد
غلازر المستشرق النمساوي خلال رحلاته الأربع الى اليمن فيما بين
(١٨٨٢ - ١٨٩٢) على (٢٥٠) مخطوطة اشترتها مكتبة فيينا ومكتبة
برلين والمكتبة الوطنية في باريس .

ويوجد كثير من المخطوطات اليمنية في المتحف البريطاني وفي مكتبة
كمبريدج وبودلين في اكسفورد ، ولا تخلو مكتبة من مكتبات جامعات
اوروبا وامريكا الشهيرة من كتب خطية جاءت من اليمن ، وفي مكتبة
الكونفرس في واشنطن بعض المخطوطات اليمنية رايت منها (البرهان
في معرفة عقائد الايمان) لعباس بن منصور بن عباس البرزهي .

وقد حصل الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان على (٢٢٦)
مخطوط يمني حينما كان سفيراً للمملكة العربية السعودية في اليمن
في العهد الملكي وقد نشر لها فهرساً خاصاً سنة ١٣٩٠ .

وثمة كتب اخرى يمانية متفرقة في انحاء العالم العربي وغيره
لا يمكن حصرها .